علاقـــة الدين
بين العرب والصـــين

بقلم بدر الدين الصيني

معتقدات الصين القديمة

كان للصينيين دين قبل وصول الديانات الأجنبية إليهم مبنى على الأوهام والخرافات ، كما كان الشأن فى كل أمة من الأمم فى الأزمان الغابرة ؛ واتخذوا الأجرام السماوية والظواهر الطبيعية معبودات لهم غير معتقدين بخالق جبار يخضع لتصرفه كل شيء من الموجودات والكائنات ، فكثرت فيهم الآلهة وتنوعت طرق عباداتهم (١)

فالحكماء الذين ظهروا فى أرض الصين بعد زمن الخرافات وطلوع فجر التاريخ الصحيح ، فى شخصيات « لوتس Laotze » و« كانفوشيوس Confucius » و « مونشيوس Moncius » و « مأى تس Maitze » ، لم يأت واحد منهم بنظام دينى يسير عليه الصينيون كافة . إلا أنهم جميعاً يعتقدون بما وراء الطبيعة ، فمثلاً « الطريقة » عند «لوتس» هى شيء ليس بصورة ولا صوت يبقى دائماً ، لا يفنى أبداً ، ووجوده قبل كل كائن مصدر لجميع الموجودات وروح تحيا بهـا . فهذا التعريف لطريقة « لوتس » يوافق ما نعتقد بصفات الله . وأما «السماء» فى عقائد كانفوشيوس فهو صاحب السلطة الاخير الذى إذا أغاظه الإنسان بارتكاب الكبائر فلا سبيل له إلى النجاة ، فلذلك يقول : « أين الدعاء من إغاظة السماء ؟ »

لا فرق بين « سماء » كانفوشيوس و « سماء » مونشيوس لأن الثانى تلميذ الاول ، فهو يحذو حذوه فى التفكير والبحث الفلسفى ؛ وأما « مأى تس » فدينه دين المحبة والمؤاخاة ، يحب الصلاح والسلام ويكره الفساد والقتال ؛ ومبادئ حبه تشابه مبادئ حب الدين المسيحى ، وأصول أخوته تماثل أصول أخوة الاسلام ؛ لكنه لم يضع نظاماً لإظهار هذا الحب وهذه الاخوة فالكف عن القتال والنهب والامتناع عن السرقة والحسد فى اعتقاده من دواعى التحاب ومقويات التآخى ، وغير ذلك

هذه الديانات كلها تخالف الإسلام فى مسئلة الحشر والنشر والحياة بعد الموت من جهة الاعتقاد ، وفى مظاهر العبادات من حيث العمل — لأن أهلها لا يعتقدون بالحشر والنشر ، ولم يأتوا بنظام خاص للعبادات — لعلّ هـذا هو السر الذى يُبقى أهل الصين فى معتقداتهم القديمة مع أن أغلبهم دانوا بالديانة البوذية التى أصلها من الهند ، وهذا التدين لم يحدث فى اعتقاداتهم شيئاً من التغيير ، مع أن الديانة البوذية قد أثرت فى أدبيات الصين وفلسفتها تأثيراً بيناً . فرجل الدين من أهل الصين يدين بمجموع عقائد ومبادئ هذه الديانات المذكورة ، فلذلك تراهم يتعبدون على مبادئ كانفوشيوس حيناً وعلى « طريقة لوتس » حيناً آخر ، مع أنهم يتعصبون للبوذية إن دانوا بها ، أو للمسيحين إن كانوا مسيحيين . هكذا شأنهم في أمر الدين حتى الآن

وصول الديانات الأجنبية الى الصين

معتقدات الصين القديمة التى ذكرتها آنفاً ، بطبيعتها ومبادئها لا تنافى الديانات الأجنبية التى كانت سائدة فى آسيا أوسطها وأدناها ، فسهل على البوذية أن تتسرب إلى الصين عن طريق تركستان فى القرن الثانى للميلاد ، وامتزجت بمعتقدات الصين ، فصارت الآن ديناً شبه دين الدولة فى الشرق الأقصى ؛ مع أن مذهب كانفوشيوس أو « طريقة لوتس » أجدر بهذا الاحترام ولها نفوذ فى كل ناحية من نواحى حياة الشعب الصينى يظل باقياً حتى يغلبه أثر الإسلام إن قدر الله للإسلام نهضة جديدة فى تلك الديار فى المستقبل

من الديانات الأجنبية التى تسربت إلى الصين قبل الإسلام المانوية والمجوسية والنسطورية ؛ فدخول المانوية الصين كان فى القرن السابع للميلاد جاء إليها من تركستان لأن أغلب أهلها قد اعتنقوا هذا الدين قبل ظهور الإسلام ، فانتشر رويداً رويداً إلى شمال الصين وغربها حتى أسس المعابد لمتنقيه فى الشطر الأول من القرن الثامن للميلاد فى بعض المدن الشهيرة ، ولهم هياكل كثيرة في ولايات « هانان Hanan » و « شانسى Shansi » وكثرة أصحاب هذا الدين يمكن أن نعرفها من الواقعة التى وقعت

(١) إلهيات الصين ص ١٢

فى عهد « ووشونك » (٨٤١ — ٨٤٦ م) . وكان هذا الامبراطور متشيعاً « بطريقة لوتس » ومتعصباً لها ، فاضطهد أهل الديانات الأخرى وهدم كثيراً من معابد المانوية والمجوسية والنسطورية . فقتل فى عاصمة الصين وحدها ٧٢ نسمة من راهبات المانوية ، ففنيت هذه الديانة من الصين بعدئذ (١)

أما المجوسية ، كما أشار إليها سليمان السيرافى والمسعودى وغيرهم من كتاب العرب ، فدخلت الصين قبل الإسلام على الأقل بقرن ، ولكنها لم تنتشر إلا فى دائرة محدودة . فلما فتح العرب إيران وقضوا على دولة كسرى فرّ يزدجرد إلى الشرق ولجأ إلى عاصمة الصين ، فأنشأ فيها معبداً للمجوسيين ، وكان معه جماعة من علماء المجوسية فبثوا دعايتهم فى شمال الصين ، لكن هذه الديانة غير مقبولة عند الصينيين . فالذين دخلوا فيها قليلون جداً . وقد محيت آثارها فى سنة ٨٤٦ م كما أسلفنا

وأما الديانة النسطورية فوصلت إلى الصين فى سنة ٦٣٥ م ، وذلك بناء على ماثبت فى كتابة تاريخية (٢) وجدت بمدينة تشانغ ان Chang-An واول من جاء إلى الصين للدعاية إلى النسطورية كان رجلاً يدعى أولوبن Olopen (٣) ويظهر من تاريخ الصين أنه استوطن تشانغ ، وأنه بنى معبداً للنسطوريين يسكن فيه واحد وعشرون راهباً ؛ وكان أولوبن رئيسهم ؛ ثم انتشرت هذه الديانة فى بعض العواصم وأنشأوا معابد فيها ، فنقشوا أعمالهم فى الألواح الحجرية ونصبوها فى المعابد تذكيراً وتخليداً ، فالعبارات التى نقشت فى هذه الألواح مدونة الآن فى تاريخ الصين العام (٤)

وبعض الكتب العربية يذكر أيضاً ذهاب النسطوريين إلى الصين . مثل ابن النديم ، فانه روى فى الفهرست أن الجاثليق قد بعث ستة من علماء النساطرة إلى الصين للارشاد والدعاية فمات منهم خمسة ورجع سادس وهو من أهل نجران إلى الروم بعد الاقامة بالصين نحو ست سنين فى سنة ٣٧٧ هـ (٥)

(١) Yung Tung Chiang ; out line of Av Chine Civilization; P. 269.

(٢) أريد بكتابة تاريخية ما تسمى Inscription بالانكليزية

(٣) Hirth : China and the Roman orient ; P. 236.

(٤) Out line of the Chinese Civilization; P. 267

(٥) ابن النديم ص ٩١ ؛

وكان لهذه الديانة قدم ثابتة فى نفوس الصينيين ، ولعلها تؤثر فى حياتهم إلى حد ما إذا طال أمدها فى الصين ، لكن مشيئة الله لم ترد انتشار هذه الديانة فى الشرق الأقصى فطرد مبشروها ، وهدمت معابدها فى أواخر القرن التاسع للميلاد ، وحكاية الراهب النجرانى أيضاً تشير إلى ذلك

الأغلاط التاريخية فيما يتعلق بدخول الاسلام الى الصين

لقد أطلت فى ذكر هذه الديانات الأجنبية مع أن محور بحثي فى هذا الموضوع هو دخول الاسلام ، وإنى مضطر إلى أن أفعل هذا لأن الأغلاط التاريخية التى تتعلق بدخول الاسلام لا يمكن أن تستدرك إلا بمعرفة تواريخ هذه الديانات ودخولها إلى الصين . لقد قيل ان الاسلام قد وصل إلى الصين في عهد « كائى وانغ — Kai - Wang » من « أسرة هوى — Hui Dynasty » ومعنى ذلك أن دخول الاسلام الصين قد وقع بين سنتى ٥٨٩ و ٦٠٥ م ، وهذا مستحيل لأن محمداً رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يبعث بالرسالة إلى العالم كافة إلا سنة ٦١٠ م

ومن رأيى أن القائل بهذا القول قد أخطأ في هذه النقطة فحسب المجوسية التى دخلت الصين فى أواخر القرن السادس للميلاد دين الاسلام الذى دعا إليه صاحب الرسالة بعد نبوته ، مغالطاً فى دليله إذ قال إنها ديانة جاءت من « الغرب » بالغين (١) ففهم من « الغرب » « العرب » ووقع فى خطأ فاضح دون أن يشعر أن الاسلام لم يكن له وجود فى جزيرة العرب قبل سنة ٦١٠ من تاريخ الميلاد . فظهر من هذا الاستقراء أن الدين الذى وصل إلى الصين فى عهد « كائى وانغ » كان فى الحقيقة المجوسية لا الاسلام . وعندنا شهادة نقلية فى الكتب الصينية غير تلك الدلائل العقلية التى أشرت إليها آنفاً ، ونعرف أن بعض المجوسيين قد وصلوا إلى « تشانغ آن » فى أول عهد « كائى وانغ » وأنشأوا المعابد وكانوا يغنون فى صلواتهم فيها . ومن أناشيدهم الدينية نوع يقال له « موفوش » (٢) يوجد ذكره فى « ديوان أغانى الصين » وفسر صاحب الديوان هذه الكلمة بأنها نوع من الأغانى الدينية

(١) والمراد من « الغرب » فى الكتب الصينية القديمة ما يقع فى غرب الصين إلى البحر الأبيض واستنبول

(٢) The Chinese (Dictionary) P. 223. (G. Section)